# عنـــاق الشهـــادة

أراقب قطرات الغيث الهادئ تلامس خده الرقيق حتى إمتزجت بلون النصر المتدفق من أعلى قمة هذا الجبل الشامخ مكونا لون الحب الذي ينسج لدجلة وشاحها الزهري، ناشراً حباً وأملاً جديد. هكذا كنت أراقب دماء جراحات سبعة عشر ربيعا يعانق الشهادة، كان قلبي يتشظى وتلك البرودة القاسية تتسلل إلى كفي، روحه الحرة ترتقي سلم المجد، آخِذَةً معها كل ضحكاته الدافئة معنا، ملامح وجهه البرئ، ستائر رموشه الذهبية كانت تغلق على شموس مضيئة لطالما أضاءت بأملٍ متجدد،أحدث نفسي قائلاً :

" كيف لهذه الشموس المضيئة أن تأفل عن عيني.؟!"

قبل عدة دقائق من هذه اللحظة، كان وجه الشمس حزينا، كل هذه الاجواء تغيرت في لمحة بصر وكأن السماء تغسل وجهها المغبر، السماء غسلت وجهها! ؛ ماذا عن وجهي الكدر الملون بالتراب؟

أحادث نفسي : كيف لجسده الرقيق أن يتحمل خشونة هذه الربوة الصخرية؟

إنتابني شعور بالذنب أنني السبب فيما جرى له.

كان يحدثني بكلمات لم أستطع تمييزها كونها إمتزجت بغصص الشهادة وهو يقول:

" قطفني النصر ليزرع نخيل العز والإباء؛ خذه من يدي واوصل هذه الأمانة إلى أمي."

ثم رفع معصمه وهو يشير الى الشريط الأخضر الملتف حول معصمه، ذلك الشريط الأخضر الذي يسمى بالهجتنا العراقية "العَلَكْ" ، الذي يعقد عليه أغلب العراقيين آمالهم وأمنياتهم عند شبابيك الاضرحة المقدسة ...

الموقف كان أقوى من إستطاعتي وأشد هولاً من معارك التحرير التي خضتها منذ تلبية نداء المرجعية المقدس.

البرودة التي تركها بين يدي لن تدفئها نيران الدنيا أجمع سأضل أتذكرها مادمت حيا، قلبي يتجمد، يتصخر وبشدة، أخذت (العَلَكْ) من يد الشهيد علي، حملته على كتفي من نفس المكان الذي كنا نقاتل فيه سويا، الساتر الترابي على تلك الربوة الصخرية شهد أحاديث أمنيات وأحلام الشهيد بأنه ما إن تنتهي الحرب وإن لم يحصل على شرف الشهادة سيبذل جهده بان يكون طبيبا ينقذ أرواح الناس حتى أخبرني ذات مره بأنه إن أكمل دراسته للطب لن يكون هدفه ماديا وإذا حدث واستقرت أوضاع العراق سوف يتطوع في منظمة اطباء بلا حدود، يساعد المنكوبين سواء من الحروب أو الظروف البيئية في كل أنحاء العالم عله يحصل على شرف الشهادة من أجل الإنسانية وكان دائما مايردد :

لا أتخيل أن أعيش ماتبقى من عمري، لأموت على السرير، أنا أطمح للشهادة لطالما قرأت زيارة عاشوراء وركزت على جملة (اللهم إجعلني من أنصار الحسين الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عليه السلام ).

وضعت الشهيد على الأرض والزملاء ينظرون اليه مضرجا بدمائه.

وقلت:

" لن نستطيع اليوم أن نذهب به الى أهله سنبقيه هنا فنحن محاصرون، لاأقدر على إرسال عدة جنود ليعودو به الى مدينته."

المعركة القادمة في الحويجة، مركز قيادة عمليات داعش، إذ كان الدواعش يحتجزون المدنيين كدروع لهم، القناصون منتشرون على السواتر، كل ذلك من أجل إعاقة تقدم قواتنا المسلحة من الجيش والحشد الشعبي .

المعركة الأخيرة ، مواجهة صعبة مع قناص تنظيم داعش الإرهابي. في منطقة الحويجة كنا محاصرين من عدة جهات، هنا كان عليَّ أن أضحي بنفسي كي تتقدم قطاعاتنا الحربية للأمام .

وضعت يدي على قلبي ودعوت الله أن يسدد رميتي، تذكرت "العَلَكْ الأخضر" وأقسمت أن أعود به وبالشهيد لمثواه الأخير لأنفذ وصيته، إستجمعت قواي وتوجهت ونهضت بكامل جسدي على الساتر وقلت :

" إنها رمية واحدة وحياة واحدة، سددها يا الله من أجل عينا الشهيد."

ركزت ناظري على الهدف، حبست أنفاسي وانعزلت عن كل مايحيط بي من ضجيج المعركة، رأيت الشهيد علي بكامل هيئته يقف قرب خطوط العدو ملوحاً لي بيده للتقدم ، لم أصدق عيناي ، فهاهو ملقى بين الشهداء وملتفاً بالعلم ، قطعت علي تلك الرؤيا، أهازيج وطلقات الفرح التي راح يطلقها رفاقي في الكتيبه، وصوت آلياتنا الحربية وهي تتقدم، لم أكن أشعر بكل تلك التربيتات على كتفي وكلمات " أنت بطل ...أنت بطل " كنت حاضراً غائبا عن الوعي، حتى أنني لم اشعر كيف قمت بتحديد الهدف بالقناص واطلاق النار، كنت أرى الشهيد علي حاضرا في وجوه جميع زملائي .

بعد هذا الإنتصار الكبير توجهت مباشرة بملابسي العسكرية وتراب المعارك إلى منزل الشهيد علي، أنا وعدد من الأصدقاء مع جثمانه الذي أبى إلا أن يشاركنا النصرورافقنا لمدة ثلاث أيام، وصلت الى باب منزل الشهيد وطلب مني رفاقي أن أقوم أنا بإخبار والدة الشهيد وكنت متردداً من ذلك.

بالكاد كنت أرى باب منزله، فقد تزاحمت الدموع في عيني، الكلمات تتكسر في فمي كشظايا الزجاج .

فُتِحَ الباب، أطلت إمرأة نورانية متوسطة العمر، ترتدي عباءة وموشحة بالسواد، مسحة من الحزن كانت بادية على وجهها إلا أن النور كان يطغى على حزنها الكظيم، بادرتني قائلة :

- أتيت لتعطيني الأمانة، اليس كذلك ؟

قالت هذه الكلمات بصوت مرتعش مع نبرة حزن.

- كيف عرفت ! سألتها مع علمي المسبق بأن خبر إستشهاد الشهيد لم يصلهم بعد.
- البارحة في عالم الرؤيا رأيت ولدي علي وابتسم وقال :

" ستوفين بالنذر يا امي وانتظري الأمانة "

- هل جلبت الأمانة ياولدي ؟

- أجل ،هاهو الشريط الأخضر الذي كان يزين معصم الشهيد وأوصاني أن أقول لك هذه الكلمات :

" قطفني النصر ليزرع نخيل العز والإباء. "

لم أعرف لمذا هذا "العَلَكْ" مهما له لهذه الدرجة ؟! لكن كل الذي أعرفه أنه مقدس وكنت أحمله قرب قلبي وجعلت منه وعداً، كان علي أن أصارع الموت لأوفي به .

أَخَذَتْ الشريط الاخضر"العلَكَ" فرحة ، وراحت تشمه وتقبله وكأنها تحتضن ولدها، أدمعت عيناي وعيون بقية رفاقي الذين كانوا مبهورين كيف لها أن لا تهتم بجنازة ولدها والتي لازالت في باب الدار حولها الرفاق يقبلون علم النصر...

قطعت سيل الأسئلة المتدفقة بقولها :
" كنت قد تهيأت وهذا الشريط الاخضر هو أمانة علي بن أبي طالب والآن علي أن أعيده إلى شباكه من بعد سبعة عشر سنة، كن قد سألت الله بحق كرامة علي بن أبي طالب أن يكون لي ولد أقدمه مع ركب الحسين، إن دماء ولدي التي تزينه هي وفاء لنذري. وراحت تهرول باكيه وهي تزغرد حزناً وفرحاً بشهادة ولدها الوحيد وتردد :
" إن ولدي عند أمير المؤمنين ينتظرني وليس هنا في هذا الصندوق الخشبي . "

من عادتي أن أكتب المواقف التي نخوضها بعدة كلمات في دفتر ملاحظاتي لأعاود كتابتها بكامل تفاصيلها، وها أنا ذا أنهي الصفحة بعد أن أستنزفتُ روحي كلياً، فبدلاً من أن نحفر قبراً واحداً في تلك الظهيرة حفرنا قبرين، ليبقى منزل الشهيد علي خالياً .

"اليوم إحتضنت الشهادة الربيع؛ قريباً ستعانق المشيب."

**مذكرات جند الله**
**توقيع**
**أبومهدي المهندس**

تمت القصة القصيرة ....